بسم الله الرحمن الرحيم

اقتضاء الصراط المستقيم (٥)

الشيخ/ خالد بن عثمان السبت

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

قال العلامة محمد بن علي بن محمد البعلي الحنبلي في كتابه "المنهج القويم في اختصار اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية الحراني -رحمه الله تعالى-:

(فصل: إذا تقرر ذلك فقد دل الكتاب والسنة والإجماع على الأمر بمخالفة الكفار، والنهي عن مشابهتهم في الجملة).

إذا تقرر أن مشابهة الكفار محرمة، وأن هذه المشابهة تورث عِللاً وأدواء، فالمشابهة في الظاهر تورث مشابهة في الباطن، وتناسباً وتشاكلاً فيه، كما أن المباينة في الظاهر توجب مباينة في الباطن، وما إلى ذلك من المعاني التي ذكرها من اتباع هذه الأمة سنن من كان قبلها، كأن هذا أمر واقع في الأمة وقد وقع في الزي واللباس كما وقع أيضاً في العقائد، وفي الأعمال، ووقع في الأعياد، ووقع لهذه الأمة في كثير من الأمور التي تابعت فيها اليهود والنصارى، وأن هذا الأمر مع أنه واقع كما أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((لتتبعن سنن من كان قبلكم))[1]، إلا أنه ينبغي مدافعته، وعدم الرضا به.

(والنهي عن مشابهتهم في الجملة سواء كان ذلك عاماً في جميع أنواع المخالفات أو خاصاً ببعضها، وسواء كان أمر إيجاب أو أمر استحباب، أما الكتاب فقوله -تبارك وتعالى-: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ} [سورة الحديد:١٦]، وقال: {وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ} [سورة الجاثية:١٦]، إلى أن قال: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ} [سورة الجاثية:١٨]).

في الآية الأولى نهى عن مشابهتهم في الغفلة وقسوة القلب والإعراض بسبب طول المدة وتباعد الزمان، وفي الآية الأخرى أمره باتباع الشريعة ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون من اليهود والنصارى وغيرهم من طوائف الضلال، فليس ثمة إلا اتباع الشريعة، أو اتباع أهواء النفس، أو أهواء الذين لا يعلمون ممن يُملون عليه الآراء والاقتراحات، وهي دائرة في هذا المعنى.

(فأخبر أنه أنعم على بني إسرائيل بنعم الدين والدنيا، وأنهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغياً من بعضهم على بعض، ثم جعل محمداً -صلى الله عليه وسلم- على شريعة وأمره باتباعها ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون، فدخل فيهم كل من خالف شريعته، وأهواؤهم هو ما يهوونه وما عليه المشركون من هديهم الظاهر الذي هو من موجبات دينهم الباطل، ومن هذا قوله: {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَنْ يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ} [سورة الرعد:٣٦]، إلى أن قال: {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ} [سورة الرعد:٣٧]، والضمير

---

[1] - رواه البخاري، من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((لتتبعن سنن من كان قبلكم))، برقم (٧٣٢٠).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

-والله أعلم- يعود إلى من تقدم ذكره وهم الأحزاب الذين ينكرون بعضه، فدخل كل من أنكر شيئاً من القرآن من يهودي ونصراني وغيرهما).

كل الطوائف الذين يكفرون بهذا الوحي أو يكفرون ببعضه أو ينكرون نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- من كل طائفة من أهل الأديان والملل من يهود ونصارى ومن المشركين بأنواعهم، فهؤلاء كلهم قد نُهينا عن اتباع أهوائهم ومشابهتهم وذلك في كل شأن من شئونهم، بدءاً من أمور القلب وقضايا الاعتقاد، وانتهاء بأمور الزي واللباس، فكل ذلك نحن منهيون عن مشابهتهم، وليس ثمة إلا اتباع الشرع والوحي المنزل، أو اتباع هذه الأهواء، وما تحصل المخالفة إلا بسبب الجهل بما أنزل الله -عز وجل-، أو بسبب فساد القصد، فإما أن يكون الإنسان عالماً فيخالف لفساد قصده ولغلبة هواه، أو غير ذلك من المعاني، وإما أن يكون الإنسان جاهلاً فيضل عن الحق، وأما الخلاف الواقع بين أهل الحق –أهل السنة- فإن ذلك يكون لسببين:

إما الجهل، أو البغي والعدوان والظلم، وإلا فإن ما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم- من الهدى والحق والبينات لا يوجب اختلافاً وتفرقاً، وإنما يخالف من يخالف بسبب جهله أن هذه الأمور التي وقع فيها الاختلاف بين المنتسبين للسنة توجب تفرقاً ومنابذة لجهله، فهو يجعل من القضايا التي لا توجب ذلك موجباً له، وإما بسبب البغي والظلم لغلبة الأهواء واقترانها بالآراء فتضخم هذه القضايا التي يختلف فيها المنتسبون إلى السنة، وتجعل قضايا كبيرة توجب منابذة ومخالفة وتفرقاً بسبب العدوان والظلم والبغي والأهواء التي خالطت آراء الناس، وهذه قضية مهمة مَن تأملها بصّره الله -عز وجل- بكثير من الأمور الواقعة بين المنتسبين للسنة.

(ومن ذلك قوله: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}، {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ} [سورة البقرة:١٢٠]).

فكل ما خالف الشرع فهو هوى، وقيّد ذلك وغيّاه بغاية: لا ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم، الرضا لا يمكن أن يتحقق لهذه الأمة من قِبل اليهود والنصارى إلا بأن يتحولوا يهوداً أو نصارى، وإذا تحولوا إلى نصارى عاداهم اليهود، وإذا تحولوا إلى يهود عاداهم النصارى، فلا مخرج، فلن يحصل الرضا إلا باتباع دين هؤلاء وأن نتحول إلى باطلهم، وأما القتال فقد غيّاه الله -عز وجل- بغاية فقال: **{وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا}** [سورة البقرة:٢١٧]، لن يتوقف القتال إلا بالارتداد عن الدين، تتنازلون عن الدين وعن أصول الدين وكلياته، فإذا قدمتم هذه النواقض وحصلت لكم الردة، فإن الرضا لن يحصل ولو بالردة إلا باتباع اليهودية أو النصرانية، وأما القتال فقد يرفع ويتوقف إذا حصلت فيكم الردة، وليس معنى الردة أنه يقول: إنه كافر وإنه مرتد عن الدين ومتراجع ومتخلٍّ عنه، لا يحتاج إلى هذا، بل يمكن أن يقدم بعض النواقض ويتوقفون عنه ويكفون عنه، وإن لم يعلنها ردة وإن تأول بعض التأويلات الفاسدة.

(فقال في الخبر: {حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [سورة البقرة:١٢٠]، وفي النهي: {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ} [سورة البقرة:١٢٠]؛ لأن القوم لا يرضون إلا باتباع الملة مطلقاً، والزجر وقع عن اتباع أهوائهم في قليل أو كثير).

يخبر الله تبارك وتعالى بأن هذا الرضا لن يحصل إلا باتباع الملة، وفي باب التكليف والأمر والنهي خاطبه متوعداً له **{وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ}**[سورة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البقرة:١٢٠]، فهذا خطاب ووعيد، فهو في معنى الأمر والنهي، ينهاه عن اتباع الملة بعد أن أخبره أنهم لن يرضوا عنه إلا باتباع دينهم.

(ومتابعتهم في بعض ما هم عليه نوع متابعة لهم فيما يهوونه أو مظنة له، وكذا قوله: {وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ}[سورة البقرة:١٤٥]، إلى قوله: {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ} [سورة البقرة:١٤٥]، إلى قوله: {وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} [سورة البقرة:١٥٠]، قال غير واحد: لئلا يحتج اليهود عليكم بأنكم وافقتموهم في القبلة، فيوشك أن يوافقونا في الملة، فقطع الله هذه الحجة بأن قال: خالفوهم في القبلة، وقال: {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا} [سورة آل عمران:١٠٥]).

يعني: لو كانت القبلة إلى بيت المقدس فانظر إلى ما سيقوله العلمانيون، نحن أصحاب قبلة واحدة، الآن دعاة تقريب الأديان يقولون: نحن واليهود والنصارى نؤمن بالله، وتجمعنا الرابطة الإيمانية ونحن أصحاب ديانات سماوية، فأدخلوا معهم الآن البوذية وكل أقلف مشرك.

فرعون مع قارون مع هامان

بنوا لهم المعابد، فلو كانت القبلة واحدة لرأيت هؤلاء المنحرفين من المنتسبين إلى الملة يلهجون بذلك ولا يفتئون من ترديده في الصحف وفي كل مناسبة أن القبلة واحدة، فلماذا هذا التفرق والاختلاف والحرب والعداوات ونحن قبلتنا واحدة؟!!، نتجه إلى قبلة واحدة ونعبد رباً واحداً.

(وقال: {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} [سورة آل عمران:١٠٥]، وهم اليهود والنصارى الذين افترقوا على أكثر من سبعين فرقة، مع أنه قد أخبر -صلى الله عليه وسلم- أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، وقال: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} [سورة المائدة:٤٨]، وكل ما في الكتاب من النهي عن مشابهة الأمم الكافرة وقصصهم التي فيها عبرة ...).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com